((نافذة على الحرية))

في ساعات الفجر الهادئة، حين يسبق الضوءُ الصوتَ ويمشي العالم على أطراف أصابعه، يجلس الإنسان مع نفسه ويسأل: ما الذي يجعل الروح تتنفس؟

الحرية ليست شيئاً نملكه، بل هي شيء نصبح إياه. إنها ليست غياب القيود فحسب، بل هي حضور الاختيار – ذلك الخيط الرفيع الذي يمتد بين ما نحن عليه وما يمكن أن نكون.

– ✦ –

أوّل الحرية:

أن تعرف نفسك

الحرية الحقيقية ما بتجي من برّا، تجي من جوّا – من لحظة هادية تقف فيها مع نفسك وتقول: أنا هنا، وأنا أختار.

وما الحرية إلا أن تُقرَّ بما أنت

لا ما يريده الناس أن تكونا

فمن عاش لغيره ضاعت سنينه

ومن عاش لنفسه ملك الأكوانا

كثيرٌ منّا يظنّ أنه حرٌّ لأنه لا سلاسل في يديه. لكن ما أكثر السلاسل التي لا تُرى – الخوف من الكلام، والخجل من الحلم، والاعتياد على الصمت حتى صار الصمت هو الصوت الوحيد الذي نعرفه.

– ✦ –

الأمل:

بذرة في التراب

الأمل لا يُشترى ولا يُستعار. إنه ينبت من داخل الشقوق، مثلما ينبت العشب من بين حجارة الرصيف – في الأماكن التي لا يتوقع فيها أحد حياة.

زرعتُ أملاً في أرضٍ يابسة

وقال الناس: لن ينبت هنا شيء

فقلتُ: ربما – لكنني سأنتظر

فالأرضُ أحياناً تتأخّر في الإجابة

المشكلة مش في الحياة، المشكلة في اللي بنقول لأنفسنا عن الحياة. الإنسان اللي خسر كل شيء وبقي عنده أمل، ما خسر شيء بالمعنى الحقيقي. لأن الأمل هو البداية اللي ما إلها نهاية.

– ✦ –

حين يلتقي الأمل بالحرية

ثمة لحظة نادرة في حياة كل إنسان – لحظة يدرك فيها أن حريته وأمله ليسا نقيضين، بل هما وجهان لعملة واحدة. الحرية بلا أمل عدمٌ مُقنَّع. والأمل بلا حرية سجنٌ مذهَّب.

تقول لي: كيف تأمل وأنت مقيَّد؟

فأقول:

الأمل هو الذي كسر قيودي

لم تنتظر يدي لتُطلق روحي

الروح أحراراً كانت قبل وجودي

الحرية الحقيقية لا تعني أن تفعل كل ما تريد، بل أن تريد ما يجعلك إنساناً أكثر. وهذه المعادلة الصعبة – معادلة الاختيار الواعي – هي ما يميّز الحرّ من السجين في الروح.

– ✦ –

في نهاية التأمل

وأنا أكتب هذه الكلمات في هدوء الصباح، أتساءل: هل أنا حرٌّ؟ ثم أبتسم –

لأن التساؤل نفسه هو نوع من الحرية. فقط من يجرؤ على السؤال يستحق الإجابة.

والأمل؟ إنه هنا، يشرب قهوته ببطء، وينتظر أن تستيقظ.

لا تسألني متى يأتي الصباح

اسألني كيف أبقى مستيقظاً

الحرية نار – من يخاف يطفئها

والأمل دفءٌ – من يؤمن يتدفّأ